فكاهات

رواية

يد العناية [1]

كان في مدينة ملبرن من استراليا فتىً يدعى راعول توفي والداهُ ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة ولم يتركا لهُ الا مبلغاً زهيداً من المال وكانا قد اعتنيا بتربيتهِ فكان مع صغر سنهِ ذا ذكآءٍ مفرط وقريحةٍ وقادة وتبصر غريب في عواقب الامور . فلما رأى راعول نفسهُ وحيداً في العالم لا نسيب لهُ ولا صديق سوى تلك الدريهمات القليلة ولم يكن بعدُ قد اتقن دروسهُ اللازمة لتعاطي الاشغال قصد احدى المدارس العليا وقابل رئيسها واتفق معهُ ان يترك لهُ ما ورّثهُ والداهُ من المال بشرط ان يبقيهُ الرئيس في المدرسة ريثما ينهي جميع علومهِ وكان كذلك . وبرع راعول في دروسهِ وحاز قصب السبق على رفقآئهِ وكان اكثر ميلهِ الى دراسة سلك الابحر فاخذ في ذلك الجائزة الممتازة ووجه جميع قواهُ الى التبحر في هذا الفن وقد وطن نفسهُ ان يكون هذا الفرع اساساً لمستقبل حياتهِ . ولما انتهت ايامهُ المدرسية دخل بمساعدة رئيسهِ في شركة بواخر انكليزية بصفة ثاني ربان لاحدى بواخرها فاظهر في ذلك همةً ودرايةً علت بهما منزلتهُ في اعين

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اصحاب الشركة فعزموا على ترقيته ولكن ما عتمت الشركة ان انحلّت بموت رئيسها وابتاعت بواخرها شركةٌ اخرى واصبح راعول في بلدتهِ بدون عمل

وكان لراعول صديق في ايام المدرسة يدعى البرت كان كراعول يتيماً فاحبهُ حباً شديداً وتآخيا ولما استُخدِم راعول في الشركة طلب تعيين البرت مساعداً لهُ وهكذا بقي كلاهما لا يفارق احدهما الآخر فلما تركا اشغال الشركة عادا الى مدينتهما فاستأجرا غرفةً واقاما بها معاً. وكان راعول يتمنى ان يصير يوماً ربان سفينة مستقلاً وهو غاية ما كان يتمناهُ البرت ايضاً لكي يكون ثانيهُ ويبقى بصحبتهِ دائماً . وفي ذات يومٍ جلس الاثنان بعد طعام المسآء فتناول كلٌّ منهما جريدةً يطالع فيها وبينا هما يطالعان صاح البرت فرحاً هوذا متمناك يا راعول . ثم دفع اليهِ الجريدة فاخذها راعول وقرأ فيها الاعلان الآتي

« يُطلَب رجلٌ يصلح ان يكون ربّاناً لباخرة . وتمام البيان يُعطى شفاهاً من المستر ط ... في فندق ك ... شارع بر ... رقم ١٣ »

فما أتم راعول قرآءة الاعلان حتى اسرع فاخذ قلماً وقرطاساً وكتب الى العنوان المذكور كتاباً مفادهُ انهُ مارس هذه الحرفة ولكونهِ اذ ذاك خالياً عن الخدمة فهو يرغب في مواجهة صاحب الاعلان وطلب منهُ ان يعين لهُ مكاناً ويضرب لهُ موعداً فيوافيهُ اليهِ ثم ارسل الكتاب من أقرب مقام للبريد ولبث مع البرت ينتظران الجواب ويعللان النفس بالآمال

وفي اليوم الثاني جآءت راعول رسالةٌ من الرجل المجهول يطلب فيها مقابلتهُ في نفس الفندق في الساعة العاشرة فتوجه اليهِ في الساعة المسماة

ودخل فاقتادهُ الخادم الى غرفة فسيحة وأجلسهُ فيها وبعد هنيهةٍ فُتح باب آخر ودخل منهُ رجلٌ طويل القامة دقيق الساقين ضخم الكرش واسع الصدر حليق اللحية والشاربين كبير الفم لهُ عينان صغيرتان جدًّا ينبعث منهما نورٌ كالنار فوق انفٍ غليظ لهُ حدَبةٌ في وسطهِ فوق الارنبة وجبهة واسعة مغطاة اعاليها بشعرٍ كثيف حالك السواد . ولما دخل الرجل نهض راعول لاستقبالهِ فحياهُ ووقف الغريب بضع دقائق وقد وجه نظرهُ الحاد الى راعول كمن يفحص اعماق صدرهِ وكانهُ اعجبهُ ما رآهُ فيهِ فتبسم قليلاً ثم اقترب منهُ وقال لهُ قد اتاني كثيرون منذ نشرت اعلاني يرغبون في هذه الوظيفة وكنت اذا طلبت مواجهتهم ارى فيهم ما لايحببهم اليَّ . اما انت فقد شعرت لاول وهلة انهُ يمكنني الاعتماد عليك فهل انت على تمام الاستعداد لهذه الخدمة وهل سبقت لك ممارسة هذا الفن . فقال راعول اما استعدادي لهذه الخدمة فهو على ما تروم واما خدمتي السابقة فقد كنت ربانًا في شركة البواخر الانكليزية مدة خمس سنوات جبت في اثنائها اقطار المعمور . فقال الرجل حسنٌ لكن اعلم ايها الربان ان لما انا عازمٌ عليهِ سرًّا عميقًا لا يهون عليَّ افشآؤهُ الاَّ بعد كمال الثقة والتجربة غير ان فراستي فيك دلتني على انك رجلٌ ذو حزم وامانة وشرف وعزة نفس فسأطلعك على ما يكنهُ ضميري واذا احببت بعد ذلك ان تتفق معي مضينا على بركة الله والاّ فلا اطالبك بشيء سوى ان تعدني وعداً صادقاً بان تنسى ما سيدور بيننا من الحديث كانهُ لم يكن فهل تعدني بذلك وهل تقسم على القيام بما تعد . قال قُل يا سيدي ما بدالك فاذا وافقني الامر خدمتك والاّ

عدت من حيث اتيت واقسمت لك اليمين المغلظة انني لا ابوح بشيء مما تذكرهُ لي . ورأى الغريب في وجه راعول ملامح الامانة والصدق فجلس الى جانبهِ وتفكر هنيهة ثم بدأ بحديثهِ فقال

اعلم يا عزيزي راعول ان اسمي المسترطمسن وانا انكليزي الاصل سافرت صغيراً الى روسيا لتعاطي التجارة واقمت في بطرسبرج فنجحت نجاحاً عظيماً . وفي اثنآء اقامتي هناك سمعت بجمعية النيهيلست السرية وكنت ارغب دائماً في الاطلاع على كل ما يدعونهُ سرًّا فسعيت جهدي للانتظام في سلك هذه الجمعية وبعد تعب شديد قُبلتُ فيها واخذت عهدها واصبحت عضواً مهمًّا من اعضآئها . ولما قضيت نهمتي من الاطلاع على اسرار هذه الجمعية الجهنمية وعلمت جميع مقاصدها نفرت منها وكان نفوري اضعاف ما كان ولعي بالانضمام اليها فطلبت من اعضآئها اقالتي منها فرفضوا طلبي وقالوا ان من دخل في هذه الجمعية لا يخرج منها الاّ بالموت وعليهِ فهم يحظرون عليّ حتى الافتكار بتركها واذا عدت الى مثل ذلك فمن اهمّ واجباتهم العمل على اهلاكي في الحال . وفي نفس الجلسة عينوا لي اثنين من الاعضآء ليراقبا حركاتي ويفتكا بي اول ما يترآءى لهما اني عازم على ترك الجمعية فاضطررت الى البقآء فيها . غير اني كنت ارى كل يوم من اعمال هؤلآء القوم ما يزيد نفوري منهم فسئمت الحياة وعذبني تبكيت الضمير ولما رأيت ان لا مناص لي جمعت من تجارتي ما امكنني من المال وسافرت سرًّا الى وطني انكلترا تاركاً بقية اموالي واملاكي في روسيا فدًى عني . فاقمت في انكلترا اربع سنوات تناسيت في اثنآئها الاهوال التي رأيتها في تلك

الجمعية . واتفق بعد ذلك اني بينا كنت يوماً انظر من احدى النوافذ اذ رأيت قرب منزلي الرجلين اللذين عيّنا لقتلي وهما يراقبان الباب والنوافذ فاقشعرّ بدني وعلمت ان لا بد للجمعية من انفاذ حكمها فيّ بالقتل وان العضوين المكلفين بذلك قد علما بمحل اقامتي فهما لا يرجعان عن طلبي . فلم انم تلك الليلة بل جمعت ما وصلت اليهِ يدي من المال والقراطيس وخرجت مستخفياً وسافرت الى فرنسا غير اني لم ألبث هنالك شهرين من الزمن حتى رأيت الاخوين في ناد وقد انزويا الى جانبٍ يراقبان الناس فعلمت انهما لا يزالان في اثري ولم يرياني في ذلك الوقت وضايقني الخوف واستولى عليّ الرعب فتركت فرنسا وجئت استراليا منذ خمس عشرة سنة . وكنت اخشى في اوائل هذه المدة ان يدركني ذانك القاتلان غير انهُ لما طال الامد ولم اسمع عنهما شيئاً وطنت نفسي على الراحة والدعة وقد ايقنت بالنجاة من ايديهما ولكني لم ألبث ان رأيت منذ اسبوعين عربةً مارةً امام منزلي وفيها الرجلان المذكوران ولست اعلم باي روح شيطاني علما باني في هذه القارة وهما يجدّان في اثري . وانا اعلم عهود تلك الجمعية واعرف منها ان الموكلين بقتلي لا يرجعان عن انفاذ ما أُمرا بهِ ولو حال من دون ذلك الثقلان فضاق صدري وهان عليّ الموت وعزمت ان اسلم نفسي اليهما او انتحر تخلصاً من هذه الحياة التي تقضى بالخوف والتستر . ولكن الحياة عزيزة ولا يزال لي امل في الخلاص باذن الله ومساعدتك فانا ارغب ان احصل على باخرة لا تختص بشركةٍ مّا يشتريها شخصٌ امين نظيرك بحيث اذا سافر او لم يسافر لا يظن الناس بهِ سوءًا فيقلّني على ظهر باخرتهِ الى

جنوبي اميركا الجنوبية حيث اتحقق اني سأختفي عن مراقبة اعدآئي ولا يدرون اين ذهبت فاصرف بقية حياتي هنالك في أمنٍ وسلام

وكان راعول يسمع حديث المستر طمسن وهو يعجب منهُ ويستعظم امرهُ فلما اتم حديثهُ قال لهُ انني كما وعدتك يا مولاي مستعدٌّ لأن اخدمك واخلصك من هؤلآء الملاعين . فابرقت اسرّة المستر طمسن وقال اني اشكر همتك وانسانيتك على ذلك ولكن قل لي ماذا نفعل الآن . قال راعول اشتري انا باخرة لنفسي وتحت اسمي واجهزها بما يلزم بحجة انني سائح لملذة نفسي ومتى تمّ تجهيز الباخرة اعلمك بذلك فتوافيني اليها ونقلُّك الى حيث تودّ ولا يمكن ان يعلم الجاسوسان بسفرك في هذه الباخرة لانها ليست للمسافرين وهكذا نخلص من شرّهما . قال المستر طمسن حسنٌ جدًّا وهل عندك مالٌ لذلك . فقال راعول لا فاني لا املك من المال سوى بضعة دنانير لنفقتي الخاصّة الى ان اجد شغلاً آخر . فناولهُ المستر طمسن اوراقاً مالية بقيمة الفي ليرة وقال لهُ اذهب على بركه الله واعمل عملك بمنتهى السرعة وبغاية التحفظ فانا انتظرك في مخبإي هذا على مثل الجمر . واذا ألزمت الحال ان تخاطبني في طلب نقود اخرى او غير ذلك فاياك ان يعلم احد واجتهد في الكتمان ما امكنك ان شئت ان تخلص نفسي من الموت . فوعدهُ راعول خيراً ثم ودعهُ وسار وقد هانت لديهِ الصعاب وايقن بنيل متمناهُ . ولما بلغ غرفتهُ رأى ألبرت بانتظارهِ فاخبرهُ باختصار ان رجلاً نقدهُ الفي ليرة ليبتاع بها باخرة ويجهزها بجميع ما يلزم ويسافر بهِ الى جهةٍ غير معلومة . ففرح البرت ايضاً ونام الاثنان ليلتهما على سرير الآمال يحلمان

بالسعادة والغنى

وفي اليوم التالي نهض راعول والبرت واخذا يبحثان في السواحل فوجدا باخرة صغيرة بهيئة يختٍ طبق مرادهما فاشترياها في الحال واقاما بضعة ايام في ترتيبها وتجهيزها بكل ما يلزم لسفرهما الطويل واخذا لها اثني عشر ملاحاً ممن يعلمان كفايتهم حتى اذا اتما الاستعداد ذهب راعول فقابل المستر طمسن واخبرهُ بما حصل فسرّ سروراً عظيماً وقال لراعول انني سانفذ اليك في هذا المساء خادمي الامين وهو طباخٌ عندي منذ سنوات وارسل معهُ بعض امتعتي واشياء اخر تلزمني في هذا السفر فارجو منك ان تستقبلهُ وتوصلهُ الى ظهر اليخت وتدعهُ يلاحظ وضع امتعتي في الغرفة التي ستعينها لي . اما انا فسأوافيكم عند منتصف الليل ونمخر قبل انبثاق نور الصباح

ولما غربت الشمس جاء طباخ المستر طمسن بصندوقين من الجلد ولفافتين كبيرتين من انابيب المطاط (الكاوتشوك) فاستقبلهُ راعول والبرت وامرا النوتية فساعدوهُ في نقل هذه الاشياء الى الغرفة المعدة للمستر طمسن وجعل الجميع يتأهبون للسفر وعند منتصف الليل اقبل المستر طمسن ومعهُ رجلٌ آخر يشبههُ جدًّا . ولما بلغا ظهر الباخرة قال المستر طمسن لراعول ان رفيقي هذا هو المستر وود صديقي العزيز وكاتم اسراري وقد قبل ان يشاطرني حياة الغربة فاحضرتهُ معي . وهكذا توجه كلٌّ الى غرفتهِ واعطى راعول الامر فسارت الباخرة تشق بهم عباب البحر ولم ينبثق نور النهار حتى غابت استراليا عن ابصارهم . وبعد ان تناولوا طعام الصباح اخذ راعول المستر طمسن وكاتم اسرارهِ وجال بهما في الباخرة فسرّهما جدًّا ما رأياهُ من اتقانها

ونظافتها واكمال معداتها . ثم نظر المستر طمسن الى راعول وقال لهُ اني اشكرك من صميم قلبي ايها الربان الغيور وانّا الى الآن لم نتكلم في امر مكافأتك فقل لي هل بقي معك شيء مما اعطيتك . قال راعول نعم فانني ابتعت الباخرة ومعداتها ودفعت اجور العمال ولا يزال معي نحو ٥٠٠ ليرة . فسرّ المستر طمسن بذلك ثم قال اذا بلغنا وجهتنا بامان واوصلتني مع كاتم اسراري والطباخ بخير فانا اهب لك الباخرة وانقدك ايضاً الفي ليرة أخرى تبني بها مستقبلاً لك ثم استودعك الله فتكون حرًّا لنفسك . فسرَّ راعول وشكر ثم عاد الى صديقهِ البرت يبشرهُ بما حصل

وكان المستر طمسن لا يفارق غرفتهُ الاّ فيما ندر ولا يكلم احداً الاّ كاتم اسرارهِ والطباخ . واتفق في اليوم الثالث ان اطلّت عليهم في طريقهم باخرة تجارية كبيرة فلما رآها المستر طمسن امتقع لونهُ وسأل راعول هل من اللازم الاقتراب منها والتكلم معها . فاجابهُ راعول ان ذلك ليس بضروري لكن يكتفى بتبادل علامات السلام عن بعد . فألحَّ عليهِ ان لا يتعرَّض لها وان يداوم المسير حرصاً على الوقت . ولما قاربتهم الباخرة رفعت اشارة السلام مع بيان اسمها فاجابها راعول على سلامها ولم يبين اسم باخرتهِ خلافاً للعادة . فاعادوا سؤالهُ عن اسم مركبهِ فاجاب انهُ مركب خصوصي لهُ وهو خارج للنزهة . فسألوهُ هل هو في حاجةٍ الى ماءٍ او طعام فاجاب بالنفي شاكراً ومضى في طريقهِ مودعاً وسارت الباخرة وقد تعجب رجالها مما رأوا . وطابت لراعول الريح فداوموا على مسيرهم بضعة ايام

وكان راعول قد استصحب معهُ خادماً صغيراً يدعى جان لهُ من

العمر احدى عشرة سنة . فاتفق يوماً ان كلّف الطباخ الخادم المذكور ان يحمل طعام الصباح الى المستر طمسن فحمل الولد الطعام على طبقٍ وقصد غرفة المستر طمسن ولما ادرك الباب سمع كلاماً فوقف واعار اذناً صاغية واذا بالمستر طمسن يكلم كاتم اسراره ويقول لهُ . اما الآن فقد تمّ نجاحنا وتأكد فوزنا فبقي علينا ان نخفي عملنا الاخير واخفآؤهُ لا يتم الاَّ بموت الرجال الذين في هذه الباخرة واغراقها في لجة البحر . فاجابهُ كاتم اسراره ولكن بذلك نهلك نحن ايضاً . فقال طمسن كلاّ اننا اذا قاربنا الشاطئ هجمنا نحن الثلاثة على راعول ورفيقه من غير ان يشعرا بنا ثم اتبعنا بهما النوتية الواحد بعد الآخر ومتى فرغنا منهم لا يصعب علينا ثقب الباخرة فتمتلئ ماءً وتغرق واما نحن فننتقل مالنا الى قارب صغير ونجدّ في طلب البر وبهذه الحيلة نأمن شر العالم اجمع . فلما سمع الولد ذلك اصطكت ركبتاهُ وهلع قلبهُ فسقط الطبق من بين يديهِ وتكسرت الفناجين . فانتبه المستر طمسن وخرج فرأى الولد فسألهُ هل كان هنالك من زمنٍ . فاجاب الولد انهُ قد وصل في تلك اللحظة فعثر بالمائدة فوبخهُ المستر طمسن وعاد الولد مرعوباً الى غرفة راعول فقص عليهِ جميع ما سمع . ولبث راعول في حيرةٍ مما قصهُ عليهِ الولد ولكنهُ عاد فتذكر اشياء كثيرة مرّت امامهُ ولم ينتبه اليها قبلاً فأطلع البرت والنوتية على ما يجب واوصاهم ان يكونوا دائماً على استعداد

وفي اليوم الثاني رأى راعول حركةً غير مألوفة بين الطباخ والمستر طمسن ورفيقهِ فوقف بالمرصاد وحدث ان مرّ نوتيٌّ امام المطبخ فتسلّل الطباخ

ورآءَهُ شيئاً فشيئاً حتى قاربهُ ورفع بيدهِ خنجراً واهوى عليهِ بهِ وكان راعول يرى ذلك فأطلق على الطباخ غدارتهُ كالبرق فاصاب صدرهُ فسقط قتيلاً . وفي نفس الدقيقة خرج طمسن ورفيقهُ من غرفتهما وبيد كلٍّ منهما غدارة وهما يحسبان ان المعركة قد ابتدأت على غير علمٍ من احد فما تجاوزا عتبة الباب حتى احاطت بهما النوتية وراعول فاوثقوهما وزجوهما في نفس الغرفة ونقلوا اليها ايضاً جثة الطباخ . ولما ايقن طمسن بخيبة مسعاهُ استدعى راعول وقال لهُ أمَّا وقد اصبحنا اسراك فاليك الحقيقة . انني لم اكن قط نيهيلستياً كما اعلمتك سابقاً وانما نحن الثلاثة من مستخدمي بنك الاقتصاد في انكلترا وقد ألفنا رابطة بيننا فسرقنا من البنك مبلغ مئتي الف ليرة وفررنا الى استراليا ومنها اغريناك كما حصل لتنقلنا الى جنوبي اميركا لعلمنا ان شحنة لندن لا يثنيها شيءٌ عن اتباعنا وادراكنا . وكنا قد عزمنا ان نهلككم جميعاً ونغرق الباخرة لنقطع كل اثر يدل علينا فحدث ما حدث والآن اطلب اليك ان ترحمنا وتوصلنا الى محل قصدنا ونحن نقاسمك المئتي الف ليرة . فنظر اليهِ راعول نظرة الغضب وقال بل خسئت ايها الدنيء فان من شاركَ السارق فهو سارق فاياكَ ان تتفوه بهذا الكلام من بعد . ثم اغلق عليهِ الباب وخرج الى ظهر الباخرة فاصدر امرهُ العاجل بتغيير خطة السفر والعودة الى ملبرن ليسلم اسراهُ الى الحكومة . وفي اليوم الثاني بينما هم راجعون رأى راعول دارعة انكليزية تسرع ورآءهم وهي تشير اليهم بالوقوف فوقفت الباخرة ولما قاربتها الدارعة نزل منها قاربٌ صغير فيهِ عددٌ من النوتية ورجلٌ مهيب عرفهُ راعول لاول وهلة انهُ جورج هيوات احد

مشاهير الشحنة السرية فاستقبلهُ راعول بوجهِ باشٍّ وقال لهُ اظنك في طلب المستر طمسن ورفيقيه . فقال نعم . فقص عليه راعول الامر كما حدث ثم اخذهُ فاراهُ الاسيرين مقيدين وجثة الثالث . ثم سألهُ راعول من اين علمت انهم في حوزتنا . فقال انهُ عند ما حدث الجرم خطر لي ان السارقين سيقصدون جنوبي اميركا فجئتها وبحث اعواني عنهم في جميع تلك الاطراف فلم يظفروا بطائل . واخيراً تمكنا من تأثرهم الى ملبرن ولكن هناك لم نعد نعلم كيف اختفوا الى ان وصلت الى ملبرن منذ بضعة عشر يوماً باخرة فاخبرت انها رأت يختكم في طريقها فتأكدت ان اللصوص معكم وجئت في هذه الدارعة لتعقبهم

ثم ان الشحني سأل طمسن عن محل وجود النقود فانكرها ذاك وفطن راعول للفافتي المطاط فذهب بهِ اليهما فوجدا ان تلك الانابيب كانت مملوءة من الذهب الوهاج فضبطا كل ذلك وسارت الباخرة تتبع الدارعة الى ملبرن حيث قرّر راعول والشحنيّ جميع ما حدث وسلما الاسرى والمال الى يد الحكومة فكان نصيب الاسيرين الاشغال الشاقة المؤبدة . واجتمع اصحاب المال في انكلترا بعد ارتجاع اموالهم فقرروا ان يكافئوا راعول بنفس المكافأة التي وعدهُ بها طمسن واجازوا الشحني بمبلغ وافر من المال حسب استحقاقهِ فعاد راعول بباخرتهِ وصديقهِ ونوتيتهِ وهو يحمد يد العناية على على ما سخرت لهُ من غرائب الاقدار